كنوز الحكمة
كولوسي 1:18 - 23

- **الدرس الرابع**

تأملنا سابقاً في صلاة من أروع الصلوات في الكتاب المقدس. حيث قدّم الرسول بولُس الشُكْرَ للهِ على خَمْسِ حقائِقَ رائِعَة: (1) فقَد جَعَلَنا اللهُ نلتَقي لكي نكونَ شُرَكاءَ في ميراثِ القِدّيسينَ في النور؛ (2) وحَرَّرَنا مِنْ سُلطانِ الظُلْمَةِ؛ (3) ونَقَلَنا إلى ملكوتِ ابنِهِ الحبيب؛ (4) وفَدانا بِدَمِ المسيح؛ (5) وغَفَرَ لَنا خطايانا مِنْ خِلالِ دَمِه. ومَع ذلِكَ، فهُنالِكَ الكثيرُ مِنَ الأشخاصِ الذينَ ما زالوا يُصلّونَ لِغايَةِ الآن مِنْ أجْلِ هذه الأمورِ الخَمْسَة. صديقي المؤمِن، ينبَغي عليكَ أنْ تَعْرِفَ بأنّ هذه الأمورُ الخَمْسَة موجودَةٌ لديكَ الآن وهِيَ لَك؛ فَلِمَ لا تَشْكُرُ الله عليها؟

كما قلنا الموضوعُ الرئيسي هُوَ شَخْصُ الرَّبّ يسوع المسيح. ولا يُمكُنُنا - في هذه الحياةِ القصيرة - أنْ نقولَ الكثيرِ عَنْهُ، ولا أنْ نستوعِبَهُ بكُلِّ روعَتِهِ وبكُلِّ مَجْدِهِ. يُقدِّمُ هذا المَقْطِعُ رَدّاً على أولئِكَ الذينَ يُنكِرونَ لاهوت يسوع المسيح. وفَهْمُ هذهِ الآياتِ يَعني إدراكَ رَوْعَةَ يَسوع. وقد رأينا أسبابَ اختلافِهِ وسُمُوِّهِ عَنْ أيِّ شَخْصٍ عاشَ على وَجْهِ هذه الأرض. فهو أولاً "صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ." ولو لَمْ يكُنْ هُوَ الله لَما كانَ صورَةَ اللهِ غَيْرِ المَنظور. ثانياً، إنَّهُ "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ." أي قَبْلَ كُلِّ الخليقَة. فهُوَ لَمْ يولَد في الخليقَة، وإنَّما هُوَ الذي جاءَ قَبْلَ نَحوِ ألفيّ سَنَةٍ وصارَ جَسَداً. ثالثاً "فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ." هُو الذي قامَ بِعَمليَّةِ الخَلْق. رابعاً، الكُلُّ خُلِقَ "لَهُ"، فهُوَ لَمْ يَخْلِق كُلَّ شَيءٍ فَحَسْب، بَلْ إنَّها خُلِقَت لَهُ.

نتابع التأمل في الفصل الأول من كولوسي ولن ننتهي منه بعد. يقول العدد السابع عشر:" الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ ". وهذا يأتي بنا الى النقطة الخامسة عن المسيح. "هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ." فكُلُّ المِلْء موجودٌ في المسيحِ قَبْلَ تَجَسُّدِهِ، وكُلُّ المِلْء موجودٌ في المسيحِ المُتجسِّد. "فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا" (كولوسي 2:9). ونَحنُ جُعِلْنا كامِلينَ فيه. لقَد كانَ المسيحُ قَبْلَ كُلِّ شَيء. إنَّهُ المسيحُ قَبْلَ تَجَسُّدِهِ. سادساً، "وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ." فهُوَ يُمْسِكُ كُلَّ الأشياءِ مَعاً، ويَحْفَظُ الخليقَة، ويُوجِّهُها. وكَلِمَة "يقوم" تَعني في الأصلِ اليوناني "يَضُمّ مَعاً" فالمسيحُ هُوَ الذي يربُط ويضُمّ هذا الكون مَعاً في توافُقٍ وانسِجامٍ فريدين. مُنْذُ سنين، قامَ الإنسانُ بِعَمَلٍ جريءٍ، وأنا أعتَقِدُ بأنَّهُ عَمِلٌ خَسيسٌ: فقَد قامَ بتفكيكِ الذَرَّة. فالربّ يسوع قامَ بتجميعِ ورَبْطِ كُلٍّ مِن هذه الأجزاءِ الصغيرَةِ مَعاً حينَما خَلَقَ الذَرَّة. لكِنَّ الإنسان قامَ بِما يُعْرَفُ بِشَطْرِ الذَرَّة. هَل تَوَقَّفْتَ يوما، عزيزي، للتفكيرِ في مِقدارِ الطاقَةِ الهائِلَةِ الكامِنَةِ في ذَرّاتِ هذا الكون؟ فإذا كانَت قُنْبُلَةً واحِدَةً نَحْمِلُها في يَدِنا قادِرَةً على تفجيرِ منطِقَةٍ كامِلَةٍ وتحويلِها إلى شَظايا، فكَمْ سيكونُ حَجْمُ الطاقَةِ الكامِنَةِ في هذا الكونِ الماديّ؟ ومَنْ هُوَ الذي يُمْسِكُ كُلَّ هذه الطاقَة ويَمْنَعُها مِنَ الإفلات؟ يُخْبِرُنا الكِتابُ المُقَدَّس بأنَّ المسيحَ لَمْ يَخْلِقِ الكونَ فَحَسْب، وإنَّما هُوَ يُمسِكُهُ ويَربِطُ أجزاءَهُ مَعاً. ولا يُمْكِنُ لأحَدٍ أنْ يقومَ بهذه المَهَمَّةِ العَظيمَةِ إلاّ الرَّبّ يسوع المسيح. ونَجِدُ نفسَ هذا الحَقّ مُكرَّراً في الرسالَةِ إلى العبرانيّين: "الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي" (عب 1:3).

فيا لروعَةِ الرَّبّ يسوع المسيح وعَظَمَتِه!

نقرأ من الفصل الأول من كولوسي من الآية الثامنة عشرة الى الثالثة والعشرين..

18 وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. 19 لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، 20 وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. 21 وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ 22 فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ، 23 إِنْ ثَبَتُّمْ عَلَى الإِيمَانِ،

مُتَأَسِّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ الإِنْجِيلِ، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ، الْمَكْرُوزِ بِهِ فِي كُلِّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي تَحْتَ السَّمَاءِ، الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِمًا لَهُ.

سابعاً، "وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ." أعتَقِدُ بأنَّ هذه الآيَة بمثابَة المِفتاح لرسالَة كولوسي التي تُعتَبَرُ مُتَمِّمَةً لرسالَة أفسُس ورسالَة فيلبّي. ففي رسالَة أفسُس نَجِدُ التركيز مُنصبّاً على حقيقَة أنَّ الكنيسَةَ هي جَسَدُ المسيح في هذا العالَم؛ وبالتالي فالتركيزُ مُنصَبٌّ على الجَسَد. وفي رسالَة كولوسي نَجِدُ التركيزَ مُنصَبّاً على رأسِ الجَسَد، أي شَخْصِ الرَّبّ يسوع المسيح. وفي أفسُس نقرأ: "وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ" (أفسُس 22:1). وأخيراً، في رسالَة فيلبّي نرى بأنّ للكنيسَةِ قَدَمينِ وبأنَّها تسيرُ في العالَم - وهُنا نَرى اختبارَ الكنيسَة، أي اختبارَ المؤمِن. لهذا فإنّ هذه الرسائل الثلاث مُتمِّمَةٌ لبَعضِها البعض.

"بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ." هَل تَعْرِفُ، عزيزي، بأنَّ هُنالِكَ شَخْصاً واحِداً فَقَط قامَ بِجَسَدٍ مُمَجَّدٍ؟ إنَّهُ باكورَةَ الراقِدين. فحينَما يَموتُ شَخْصٌ عَزيزٌ في المسيح وتقومُ بوَضْعِ ذلِكَ الجَسَد في القَبْر، فكأنَّما أنْتَ تُدْخِلُهُ فُنْدُقاً لِبِضْعَةِ أيّامٍ لأنَّ هُنالِكَ صُبْحاً مُنيراً قادِماً. فالجَسَدُ يرقُدُ، لكِنَّ روحَ المؤمِنِ تذهَبُ لتكونَ مَعَ الله. وحينَما يأتي المسيحُ ليأخُذَ كنيستَهُ من هذا العالَم، فسوفَ يُقيمُ ذلِكَ الجَسَد بموجِبِ قيامَتِهِ هُوَ. صَحيحٌ أنَّ الجَسَدَ يُزْرَعُ في فَسادٍ، لكنَّهُ يُقامُ في عَدَمِ فَساد (1 كورنثوس 42:15). فسوفَ نَصيرُ مِثْلُهُ. "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (1 يوحَنّا 2:3).

ثامناً، "لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ." لا يُمْكِنُكَ، عزيزي، أنْ تُفَكِّرَ فيما هُوَ أروَعُ مِنْ هذا. فمشيئَةُ المسيح يَجِبُ أنْ تسودَ مِنْ خِلالِ خليقَة اللهِ كُلِّها.هذا هُوَ قَصْدُ الله. ورُغْمَ عصيانِ الإنسانِ وتمرُّدِهِ على هذه الأرض، إلاّ أنَّ اللهَ يقول: "أمّا أنا فقد مَسَحْتُ مَلِكي على صِهْيَون" (مزمور 6:2). واللهُ يتقدَّمُ اليومَ بثَباتٍ نَحْوَ هَدَفٍ واحِدٍ ألا هُوَ وَضْع يسوع على عَرْشِ هذا العالَمِ المُعادي لله. أجَل، عزيزي، هذا هُوَ قَصْدُ الله. عدد 19:" لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ ". الصفة التاسعة التي نراها حول شخص المسيح في الفصل الأول من كولوسي هي "لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ." تُعتَبَرُ كَلِمَة "المِلْء" أهَمُّ كَلِمَةٍ في هذه الرسالَة. وفي رِسالَة أفسُس كانَت أهَمُّ كَلِمَة هي "أخلى" لأنَّ المسيحَ أخلى نفسَهُ وصارَ خادِماً؛ فقَد أخلى نفسَهُ مِنَ المَجْد الذي كانَ لَهُ مع الآب؛ لكنَّهُ لَمْ يُخْلِ نفسَهُ مِنَ اللاهوت - فقَد كانَ هُوَ الله حينَما جاءَ إلى هذه الأرض. وهكذا فإنّ كُلّ المِلْء حالٌّ فيه. حينَما كانَ المسيحُ هُنا على الأرض، كانَ كُلُّ المِلْءِ مَع يسوع. فقَد كانَ هُوَ الله مِئَة بالمِئَة. فذلِكَ الطِفْلُ الصغيرُ الذي كانَ مُضطَجِعاً في حِضْنِ مريَم قَبْلَ نحوِ ألفي سَنَة، والذي كانَ يبدو عديمَ الحيلَة، كانَ في واقِعِ الحالِ إنساناً كامِلاً وإلهاً كامِلاً.

يُمكِنُنا، عزيزي، أنْ نُقسِّمَ هذه الآياتِ بطريقَةٍ أخرى لمُساعَدَتِكَ على فَهْمِ هذا المقطَع مِنَ هذه الرسالة بصورَةٍ أفضَل:

(1) علاقَةُ المسيحِ بالآب - الآية 15.
(2) علاقَةُ المسيحِ بالخليقَة - الآيتان 16، 17.
(3) عَلاقَةُ المسيحِ بالكنيسَة - الآيتان 18، 19.
(4) عَلاقَةُ المسيحِ بالصَليب - الآية 20.

سوفَ نَرى الآن ما فَعَلَهُ المسيحُ مِنْ أجْلِنا. عدد 20:" وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ". عِبارَة "عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ" تَعني أنَهُ عَن طريقِ دَفْعِهِ لأجْرَةِ خطيَّتي وخطيَّتك على الصليب، أصبَحَ هُنالِكَ صُلْحٌ بينَ الله والإنسان الخاطئ. فاللهُ لا يقتَرِبُ مِنَ الإنسانِ اليومَ ويقولُ لَهُ: "استَمِع إليّ، أنا ضِدَّكَ. لقَد تمرَّدْتَ عليَّ. أنْتَ خاطئ، وأنا مُضطَرٌّ لمُعاقَبَتِكَ بِسَبَبِ ذلِك." لا، بَلْ إنَّ اللهَ يقولُ شيئاً مُختَلِفاً تَماماً للشخصِ الخاطئ في يومِنا هذا. فهُوَ يَقولُ لي ولَكَ، عزيزي: لقَد حَمَلْتُ العِقابَ عَنْكَ، وقَد

دَفَعْتُ ثَمَنَ جميعِ خطاياك. أريدُكَ أنْ تَعْلَمَ أنَّكَ تستطيعُ الاقترابَ مِنّي. فالصُلْحُ قد تَمَّ بيسوع المسيح، وما عَلَيْكَ سِوى أنْ تأتي إليَّ."

هذا هُوَ ما قَصَدَهُ الرسول بولُس حينَما كَتَبَ: "فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رومية 1:5). فالسَلامُ قَد تَحَقَّقَ بواسِطَة دَمّ يسوع المسيح. والرسول بولُس يَقْرِنُ مَغْفِرَةَ الخَطايا بدَمِ يسوع المسفوكِ على الصَليب. فاللهُ يستَطيعُ أنْ يَغْفِرَ للخاطئ لأنَّ أجْرَةَ الخطيَّةِ قَد سُدِّدَت. فيسوع دَفَعَ أجْرَةَ الخَطيَّةِ بواسِطَةِ دَمِهِ المسفوكِ على الصليب؛ لذلِكَ، يُمكِنُ للهِ البارّ أنْ يَغْفِرَ للخاطئ. والله لا يتربَّصُ بالمؤمِن لِكي يُمسِكَ عليهِ خَطأً أو إثْماً، بَلْ هُوَ يَفتَحُ ذراعَيْهِ ويقول لي ولَكَ ولكُلِّ شخص: "تَعالَ إليَّ، وأنا سأمنَحُكَ راحَةَ الفِداء." "وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ." يقولُ اللهُ لجميعِ البَشَر: "لَقَد تصالَحْتُ معكُم، فهَل سَتَتَصالَحونَ مَعي؟" هذا هو القرارُ الذي ينبَغي على الإنسانِ أنْ يتَّخِذَه. ويوضِّحُ الرسول بولُس هذه النُقْطَة بوضوحٍ تامّ في رسالته إلى أهل كورنثوس فيقول: "وَلكِنَّ الْكُلَّ مِنَ اللهِ، الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَأَعْطَانَا خِدْمَةَ الْمُصَالَحَةِ، أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ. إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ " (2 كورنثوس 5:18-20). ويَعْتَقِدُ الكثيرُ مِنَ الناسِ بأنَّه ينبَغي عليهِم القيامَ بشيءٍ ما لإرضاءِ الله. لكِن، صديقي، اللهُ هُو مَن يُحاوِلُ جذبَكَ إليه. فالله قَدْ تصالَحَ مَع الإنسان بيسوع المسيح، وهُوَ يَطْلُبُ مِنَ الإنسان أنْ يأتي إليه ويتصالَحَ مَعهُ. يُفسِّرُ البعضُ عبارَة "وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ" على أنَّها تعني بأنّ جميعَ الناسِ سيَخْلُصون. ولكي نَفْهَمَ المقصود، ينبَغي علينا أنْ ننتَبِهَ إلى الكلِمات المُستَخْدَمَة هُنا. فما المقصود بكلمَة "الكُلّ"؟ إنَّها مقصورَةٌ على جميعِ الأشياءِ التي سيتمُّ مُصالحَتُها، أي جميعُ الأشياءِ المُعيَّنَة للمُصالَحَة.

قَد يُساعِدُنا في فهْمِ هذه العبارة أنْ نقرأ الآية فيلبّي 8:3 حيثُ يقولُ الرسول بولُس: "بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي". فما الذي تعنيه عبارة "كُلّ شيء" هُنا؟ هل يَقصِدُ الرسول بولُس كُلَّ شيءٍ في هذا العالَم؟ بالطَبْعِ لا، بَل هي تعني جميعَ الأشياء التي كانَ يتعيَّنُ على الرسول بولُس أنْ يفقِدَها. ففي الآيات السابِقَة، قامَ الرسول بولُس بتعَدادِ جميع المزايا الدينيَّة التي كانَت لديهِ في السابِق. لكِنْ هذه هِيَ الأشياء التي قَرَّرَ الرسول بولُس أنْ يتخلّى عنها؛ فهو لَم يَكُن باستطاعَتِهِ أنْ يخسَرَ شيئاً ليسَ لديه أو لا يَمْتَلِكُهُ. "سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ." سوفَ تُلاحِظُ، عزيزي، بأنّ الرسول بولُس يُحدِّد "الكُلّ" المُعيَّن للمُصالَحَة - فهو لا يذكُرُ الأشياءَ التي تَحْتَ الأرض. في فيلبّي 22:1 يقول الرسول بولُس: "وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ." فما هو "كُلَّ شيءٍ" الذي سيُخْضِعُهُ تَحْتَ قَدَميه؟ حَسَناً، في رسالَة فيلبّي يقول الرسول بولُس: "لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ" (فيلبّي 10:2). لاحِظ، عزيزي، أنَّ جميعَ الأشياءِ ستعتَرِفُ بربوبيَّة يسوع المسيح - كُلُّ شيءٍ في السماء، وفي الأرض، وتَحْتَ الأرض. وهذا لا يعني بأنَّ جميعِ هذه الأشياء قَد تصالحَت مَعَ الله؛ فالرسول بولُس لا يذكُرُ بأنّ الأشياء التي تحتَ الأرض ستَتَصالَحُ مع الله.

صديقي، لا تُصدِّق الكِذبَةِ التي تقول بأنّ كُلَّ شيءٍ سيكونُ على ما يُرام. ولا تَحْسَب أنَّهُ بإمكانِكَ الاعتِماد على أنَّ الله سيكونُ لطيفاً وحنوناً. الأشياءُ التي في السماء وفي الأرض قَد تصالَحَت مع الله، لكِن ليسَ الأشياء التي تحتَ الأرض. فالأشياء التي تحتَ الأرض يجِب أنْ تَخْضَعَ لَهُ في النِهايَة، لكِنَّها لم تتصالَح مَعه أبَداً. فهذا هُو المَكانُ وهذه هِيَ الحياة التي ينبَغي علينا فيها أنْ نتصالَحَ مع الله. "ما في السماوات" - فلا يَكفي أنْ يُجهِّزَنا الله ويُعِدَّنا لدخولِ السماء، بَلْ يَجِبُ أيضاً أنْ يُعِدَّ السماءَ وتجهيزُها لاستقبالِنا. فقد قالَ الرَّبّ يسوع: "أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا" (يوحَنّا 2:14). فبالتَجَسُّد، جاءَ اللهُ إلى الإنسان؛ وبِدَم يسوع تَمَّ إحضار الإنسان إلى الله. وهذا الدمّ يُطهِّرُ أيضاً الأشياءَ التي في السماء بِحَسَب عبرانيّين 23:9. وهكذا، ينبَغي أيضاً مُصالَحَة الأشياءَ التي في السماءِ مَع الله.

عدد 21:" وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآن ". لَمْ يَنْتَظِر الله أنْ نقومَ نَحْنُ بأيِّ شَيءٍ أو بأيِّ عَمَلٍ قَبْلَ أنْ يوافِقَ على القيام بِعَمَلِ المُصالَحَةِ هذا. بَلْ بينَما كُنّا أنا وأنْتَ، عزيزي، ما زِلنا في حالَةِ عصيانٍ وتَمَرُّدٍ على الله، وبينَما كُنا نقومُ بالأعمالِ الشرّيرَة، قامَ اللهُ بمُصالَحَتِنا لنفسِه. ولا يُمكِنُ لأيّ إنسانٍ أنْ يقولَ: "أنا ضالٌّ وهالِكٌ لأنَّ الله لَم يَهْتَمَّ بي." فالإنسانُ هالِكٌ لأنَّهُ يُريدُ الهَلاك، ولأنَّهُ مُتمرِّدٌ على الله. "وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ." تُذكِّرُنا هذه الآية بأنّ هُنالِكَ اغترابا وبُعداً فِكْرِيّاً عَنِ الله بالإضافَةِ إلى البُعْدِ الأخلاقيّ. فالكثيرُ مِنَ الناسِ يعتَقِدونَ بأنَّهُم هالِكونَ لأنَّهُم ارتَكَبوا خطيئَةً فظيعَة. لكِنَّ سَبَبَ هلاكِهِم هُوَ أنَّ أفكارَهُم بعيدَةً عن الله. وأعتَقِدُ بأنّ هذا يُفسِّرُ سَبَبَ العِداءِ الكبيرِ تِجاهَ الله مِن جانِبِ هؤلاءِ الذينَ يُدْعَونَ بالمُفكّرينَ في وقتِنا الحاضِر. فهُنالِكَ كراهِيَةٌ وعِداءٌ مُستَحْكِمَيْنِ ضِدَّ الله. عدد 22:" فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ ". "جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ" - هُنا إعلانٌ مُباشِرٌ عَنْ أنَّ المسيحَ قَد واجَهَ الألَمَ والمُعاناةَ والموت. "لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ." عِبارَة "بِلا لومٍ" تَعني بِلا عَيْب. وقد كانَ هذا أحَدَ شروطِ الذبيحَة في العهدِ القديم. لا نَسْتَطيعُ أنا وأنْتَ، عزيزي، بُلوغَ الكَمالِ أمامَ الله. والله لا يَقْبَلُ بأيِّ شَيءٍ أقَلّ مِنَ الكَمال. لهذا السَبَب، لا يُمكِنُنا أنْ ننالَ الخَلاصَ بموجِبِ أعمالِنا أو بموجِبِ شخصيَّتِنا. فنحْنُ، بِبَساطَةٍ، لا نستَطيعُ أنْ نَفي بمُتطلّبات وشروط الله البارّ. لكِنَّهُ قادِرٌ على أنْ يُحْضِرَنا بلا لَوْمٍ. لماذا؟ لأنَّهُ أخَذَ مكانَنا: "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (2 كورنثوس 21:5). عبارَة "وَلاَ شَكْوَى" تَعني بدونِ اتّهامٍ أو بدونِ تُهْمَةٍ. فالله هُو الذي يُبرِّرُنا. فإذا أعلَنَ اللهُ أنَّنا مُبرَّرونَ، فمَن يستَطيعُ أنْ يُوجِّهَ إلينا أيَّةَ تُهْمَةٍ؟ فاللهُ هُوَ الذي طَهَّرَنا مِنْ كُلِّ إثْم.

عدد 23:" إِنْ ثَبَتُّمْ عَلَى الإِيمَانِ، مُتَأَسِّسِينَ وَرَاسِخِينَ وَغَيْرَ مُنْتَقِلِينَ عَنْ رَجَاءِ الإِنْجِيلِ، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ، الْمَكْرُوزِ بِهِ فِي كُلِّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي تَحْتَ السَّمَاءِ، الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِمًا لَهُ ". هذه ليسَت عبارَةً شرطيَّة ترمي للمُستَقْبَل. فهي لا تَعني أنَّ شيئاً ما سيحدُث "إن" توفَّرَ شَرْطٌ مُعَيَّنٌ. بَلْ ما يعنيه الرسول بولُس هُنا هُوَ أنَّنا قَد تصالَحْنا مع الله - وهذه حقيقةٌ راسِخَة. فإنْ كُنّا أولاداً لله اليوم فسوفَ نستَمِرُّ في هذا الإيمان الراسِخِ والوَطيد، ولَنْ نتحوَّل عَنْ رَجاءِ الإنجيلِ الذي سَمِعناهُ مِنْ قَبْل . "الَّذِي صِرْتُ أَنَا بُولُسَ خَادِمًا لَهُ." كانَ الرسول بولُس يُحِبُّ أنْ ينظُرَ إلى الوراء ويَجِدَ راحَتَهُ في الامتيازِ الذي لديهِ بأنْ يكونَ خادِماً ليسوع المسيح. وأعتَقِدُ بأنّ هذا أعظَمَ شَرَفٍ يُمكِنُ أنْ يَحظى بِهِ أيّ إنسانٍ. ما أحلى أن نتعرفَ الى هذا الرب العظيم الموصوف في رسالة كولوسي، فهل تعرفت اليه صديقي؟